16 ème Année No. 779

Lundi — 37 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٧ — ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

زعـــيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

والزعيمان هما أحمد عرابى المصرى ، وإبراهام لنكولن الأمريكى ، وكلاهما كان صاحب دور حاسم فى تاريخ وطنه ، وكلاهما كانت سيرته موضوع كتاب من تأليف كاتب واحد ، وهو الكاتب المحقق الأستاذ محمود الخفيف .

تقرأ فى الصفحات الأولى من كتاب أحمد عرابى : « مهما يكن من الأمر فما أحسب أن فى الناقمين على عرابى من يستطيع أن يماري فى أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل أو يقول ، وأنه قبل ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، كان أول مصرى فلاح فى مصر الحديثة نجم من بين عامة الفلاحين فى قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية من القضايا الوطنية الكبرى » .

ثم تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة التى ارتسمها المؤلف وثبت ألوانها وظلالها بالوقائع والأسانيد وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم ، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ودخائل تاريخها فى الجيلين الأخيرين :

ومما لا شك فيه أن زعيم الثورة المصرية فى القرن التاسع عشر قد أصاب وأخطأ ، وقد نجح وأخفق ، وقد أحسن وأساء . ولكنه لم يكن قط خائناً متواطئاً مع الإنجليز على مصلحة وطنه كما افترى عليه خصومه ، وإنما خانه التوفيق كما خانه بعض أعوانه ، وكان تصرف الإنجليز معه بعد إخفاقه تصرفاً طبيعياً لا غرابة فيه إذا رجعنا إلى المعهود من سياستهم ومن خططهم فى معاملة أمثاله ، فهم لم يرفعوا عنه العقوبة القصوى لتواطؤه بينهم وبينه قبل الثورة العرابية أو بعدها ، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يعاقبوا أحداً من الزعماء الوطنيين بعقوبة أشد من عقوبته كما رأينا فى مصر والهند والسودان وأفريقية الجنوبية وغيرها من البلدان التى كانت لهم يد فى محاسبة زعمائها ، ولأنهم من الجهة الأخرى كانوا يسوغون احتلالهم لمصر بفساد الأحوال فيها ، فلم يكن فى وسعهم أن يحكموا بأقصى العقوبة على رجل يثور على فساد الأحوال .

وليس تمحيص التاريخ المصرى ، ولا تمحيص الزعيم المصرى ، كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف عن فترة الثورة العرابية ، فإن أساليب السياسة الأوربية فى القرن العشرين ، وأساليب الاستعمار الأوربى على العموم ، بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير .

***

أما سيرة إبراهام لنكولن فهى السيرة الوحيدة التى ظهرت فى اللغة العربية لهذا الرجل العظيم ، وهى سيرة لم يستوعبها كتاب واحد ولا كتب عدة فى اللغة الإنجليزية بين المتكلمين بها

أو القادرين على الاطلاع فيها ، حيث يعلم الناس كثيراً من تاريخ الولايات المتحدة ، فيستغنون عن إقحام هذا التاريخ فى سيرة هذا الزعيم أو ذاك .

والواقع أنه لا توجد فى التاريخ كله فائدة أو عبرة لا تستخلص من سيرة إبراهام لنكولن فى حياته الشخصية أو حياته العمومية سواء تعلقت هذه العبرة بأطوار العظماء أو بأطوار الأمم فى نشأتها ، أو بأطوار السلم والحرب ، أو بعجائب الأخلاق ونقائض الآراء .

فقد يستغنى القارئ بسيرة مستوفاة لإبراهام لنكولن عن سير مئات من العظماء ومئات من الحوادث ، ولا يفوته شىء ذو بال .

وهذا موضع الصعوبة فى استيفاء كتاب عربى لهذه السيرة الجامعة ، وقد كانت صعوبة قائمة أمام كل مؤلف تعرض لهذه السيرة من الغربيين فضلا عن الشرقيين .

ويستطيع القارئ أن يعرف لنكولن معرفة صحيحة من كتاب الأستاذ محمود الخفيف ، لأنه يعرفه كما كان عظيما غاية فى البساطة ، بسيطاً غاية فى العظمة ، أميناً فى السياسة ، سياسياً فى الأمانة ، فكما يضحك الثكالى ، وحزيناً لا يفارقه حزنه مدى الحياة ، كريماً فى الصداقة والخصومة : يقف جلسات الوزارة ليستقبل فلاحاً صديقاً من رفقة صباه ، ويقهر خصومه كل القهر فلا ينتقم منهم ولا يفكر فى إذلالهم ، بل يعرف لهم حقهم ويصون عليهم كرامتهم ، ويسعى فى ذلك كأنه يسعى فى مكافأة ولى من أوليائه يدينه بالحب والوفاء .

تلك صفات لهذا الرجل العظيم تعرفها من هذا الكتاب ، ولكنك مع هذا لا تحيط بكل شىء ولا تعرف كل شىء ، بل تعرف مالا بد منه ويبقى من وراء هذا التعريف الضرورى مجال واسع للمزيد .

ومن المباحث التى تجاوزها الكتاب ، ما يساعد القارئ كثيراً على تعليل هذه الصورة الصادقة التى تتجلى له من سيرة هذا الزعيم العجيب .

فليس فى الكتاب تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التى ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه ، يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها فى تاريخ الإجرام عامة وفى تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص .

ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات .

فقد كان لنكولن مديناً بتعليمه لأمه ، ولولا هذه العناية من أمه لعاش ومات فلاحاً لا يسمع أحد باسمه فى غير بلده الذى يعيش فيه .

وقد كانت هذه العناية وراثة من أعجب الوراثات ، لأن أمه كانت من سلالة غير شرعية لفتاة بلغ من رغبتها فى العلم — على خلاف عادة النساء والرجال فى زمانها ، أنها أقبلت على دروسها الخاصة فأحبت أستاذها واستسلمت له وتعرضت للمهانة فى سبيله .

وكان لنكولن يعلم هذا ويتحدث به على دأبه من الصدق والصراحة ، وكان يعزو إلى هذه السلالة كثيراً من خلائقه وميوله ، ولا سيما الميل إلى المعرفة والاستزادة منها ولو لم تكن من لوازم عمله ، كاقباله على تعلم الهندسة والفلك ودراسة شكسبير وبعض الآثار اليونانية ، وهو عمل لا يحتاج إلى هذه المعلومات .

وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط فى انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة فى اللحظة الأخيرة أكبر الأثر فى هذا النجاح .

وعمل المصادفة فى تواريخ العظماء يفتقر إلى توضيح هذه المواقف وتحليل أسبابها وملابساتها ، لأننا نرى فيها عمل العظيم وعمل البيئة فى توجيه أكبر الحوادث التى اشتغل بها التاريخ .

أما مقتله فلا يفهم على حقيقته من التاريخ الأمريكى إلا إذا عرف القاتل وعرفت دواعيه إلى اقتراف هذه الجريمة ، وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشله فى أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة فى تاريخ البلاد الأمريكية ؛ ولولا عوارض شخصية فى طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق .

***

والذى يبدو للوهلة الأولى من كتابى الأستاذ الخفيف أنه موفق فى تحقيق معلوماته وفى وزن أبطاله .